

فمن الواضح أنها عريقة في القدم .

ولا نملك إلا أن نتساءل عما إذا كانت هذه الأشعار مازالت محتفظة بصورتها الأصلية القديمة ، عبر الزمن الطويل ، ولكن صاحب المجموعة يؤكد لنا أن المنشدين القدامى كانوا أشهر الناس حرصاً على الحفاظ الدقيق . ونحن نعرف في تراثنا العربي قوة المحافظة عند الرواة الأقدمين ، وقد كان بوسعهم أن يأتوا بالخوارق في هذا السبيل . وقد كان شعراء هذه الأقوام البدائية يعلمون مرديهم وتلاميذهم أدق وأصغر التفاصيل في أغانيهم . وكان في ذاكرة الشيوخ من أفراد القبيلة ما يكفل الرقابة الصارمة على صحة الرواية ودقتها . وقد سجل تراسك أن أحد جامعي الفولكلور دون أغنية طويلة غنتها له امرأة عجوز من فيجي عام ١٨٩٣ ، واكتشف فيما بعد أن نص هذه القصيدة قد دون قبل ذلك بثلاثين عاماً ، على يدي جامع آخر للفولكلور . ولم يظهر إلا فرقاً لفظياً واحداً بين النصين . ومن العوامل الهامة التي تعين على بقاء هذه النصوص دون تغيير ، خوف أهل أستراليا الأصليين ، على سبيل المثال ، من الإساءة إلى أرواح الشعراء القدامى ، إذ نال من أغانيهم تعديل .

فإذا عرفنا ما كان يحيط به البدائيون أسلافهم ، وموتاهم ، من تقديس وما يُكنون بإزائهم من روح وخوف ، جاز لنا أن نطمئن إلى حرصهم على دقة الرواية لأغاني القدماء . هذا إلى ما كانوا يستعينون به من نباتات يعتقدون أنها تحفظ على الدهن صفاءه وقوة حافظته .

ويختتم شارلز كوزلي مقالته بأنه على الرغم مما لحق بهذه القصائد من